

توطئة . الشخصية والحدث:

لقد مرّت الأعمال الأدبية المرتبطة بالشخصية بتحوّلات عميقة منذ فجر الدراسات الأدبية على يد أرسطو، وعبر الفترات التي أعقبته من تاريخ الأدب، كون الشخصية ذات طبيعة مطّاطية جعلتها خاضعة للكثير من المقولات، دون أن تستمرّ على واحدة منها. فـ"هنري جيمس" " Henry James " يتكلّم عن العلاقة بين الشخصية والحدث: "ماهي الشخصية إن لم تكن ما تقرره الحادثة؟ وما هي الحادثة إن لم تكن توضيحاً للشخصية؟ وأنا أجد "توما شيفسكي" و"بارت" على اتفاق تام مع "جيمس" حول هذه النقطة: لا يمكن فصل الوظائف والشخصيات عن بعضها؛ لأنّها في علاقة متبادلة بحيث يتحكّم أحدها في الآخر".(1).

تتكوّن الشخصية والحدث تدريجياً على امتداد الخط الزمني، في عملية القراءة وتطوّر السرد، يقول "دالاس مارتن". الشخصية خيط هاد يمكّن من فكّ مزيج المكررات، ويسمح بتصنيفها وترتيبها.(2). فالشخصيات الروائية يجب أن يُنظر إليها على أنّها "كائن إنساني يتحرّك في سياق الأحداث".(3). وهي أيضاً جزء من الحبكة أو العقدة، ولها وجودها المستقل، كما يشير "أدوين موير" قائلاً: "ترتبط الشخصية ارتباطاً مباشراً بالحياة، وينبغي أن تكون أكثر شبهاً بالحياة".(4). معنى هذا أن تكون "الشخصية من صميم الواقع ومن ملابساته التي يعيشها الكاتب، ولا يمكن أن يكون الصراع الروائي داخلياً فحسب ولا خارجياً تجريبياً، بل ينبغي أن يكون حياً بواقع الملابس والحدث".(5).

البناء السردى تأثيث لكون مرئي يتم إدراكه حواسياً من خلال حدود سردية تشخيصية غير منفصلة عن الحدث "وبطبيعة الحال فإنّ البناء الروائي أيّ تأثيث كوني مرئي من خلال حدود سردية تشخيصية ليس مفصلاً عن الحدث، باعتباره البؤرة التي تستوعب المكان والزمان، وباعتباره أيضاً البؤرة التي تتمّ داخلها صياغة الكيانات التي تتجسّد بواسطتها مجموع القيم الدلالية في النص".(6). لا يمكن التفكير في الصيغة المجردة إلا من خلال أشكالها المرئية، والحدث بشكل مرئي لذا وجب النظر إليه كونه

(1) مارتن والاس: المرجع السابق، ص 152.

(2) المرجع نفسه، ص 152.

(3) عزيزة مريدن: القصة والرواية، دار الفكر، (د.ط)، دمشق، سوريا، 1980م. ص 27.

(4) أدوين موير: بناء الرواية، (ترجمة: إبراهيم الصيرفي)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ط)، القاهرة

مصر، 1965م. ص 20.

(5) محمد غنيمي هلال: النّقد الأدبي الحديث، دار العودة، (د.ط)، بيروت، لبنان، 1987م. ص 571.

(6) سعيد بنگراد: المرجع السابق .

الممرّ الضروري الذي تفترضه الأفكار؛ لكي تشقّ طريقها إلى المتلقي "تلك هي إحدى الوظائف الرئيسية للسرد: التّخلص من التفكير المجرد من خلال صيغة في بالوعة الحدث الزمني، وعبر الحدث يغتني المجرد وتزداد المساحات التي يغطيها اتساعاً"(1).

فالآليات السردية التي يُبنى من خلالها العالم السردية هي التي تظهر كيفية السرد واكتماله، ثمّ اندحاره في نهاية منتقاة وفق برمجة دلالية واعية، أو فقط محتملة من خلال السيرورات المتنوعة للحدث "هو إحالة على ما يفصل بين المحتمل والمتحقق، بين الوجود القيمي المجرد وبين كلّ النسخ المتحقّقة، من خلال التمثيل التشخيصي لحالات إنسانية بعينها، ويعدّ هذا الفصل الكوّة التي من خلالها يتمّ تسريب الحدث، وتسريب السياقات القابلة للتجسيد من خلال اختيارات سردية بعينها"(2). بما أنّ الشخصية لا تُشكّل داخل النص السردية سوى بنية من البنيات، التي يعجّ بها الكون السردية؛ فإنّ إدراكها لا يمكن أن يتمّ بشكل منعزل عن باقي البنيات الأخرى، لذا فإنّ "لوتمان" نظر إلى الحدث من زاوية علاقته بتبلور الشخصية، كونها سلوكاً، وكونها فعلاً يُمارس داخل النص السردية الذي سيتمّ إدماجه لاحقاً.

تتحدد العلاقة بين الحدث والشخصية باعتباره مجموعة من الأفعال والوقائع تصور الشخصية وتكشف عن صراعاتها مع الشخصيات الأخرى، فبدون الحدث لا يمكن أن تتحرك الشخصية كما أنّ الأحداث لا يمكن أن تجري لوحدها، بل لابد من وجود شخصيات تحركها، حتى قيل إنّ (الشخصية والحدث صنوان لا يفترقان إذ أنّ من الخطأ الفصل أو التفريق بينهما، لأنّ الحدث هو الشخصية وهي تعمل فلو أنّ الكاتب اقتصر على تصوير الفعل من دون الفاعل كانت قصته أقرب غالى الخبر منها إلى القصة"(3). فالكاتب عندما يهتمّ بالأحداث، فإنّ الشخصيات تسخّر لتعقيد الحوادث وتوليدها وليس لها قيمة خاصة في ذاتها"(3). كذلك العلاقة بين الشخصيات والأحداث "لأنّها" العصا السحرية التي تحرك الشخصيات، والدينامو المحرك لها"(4)، فهي تؤدّي إلى توضيح معالم الشخصية، وتنقب عمّا خفي من صفاتها "(5)، وتتخلّص تلك الرؤى عندما ينظر إلى الحدث من منظار موضعي؛ كونه فعلاً إنسانياً تقوم به الشخصية، فهي صانعة له منفعة به .

(1) سعيد بنگراد: المرجع السابق .

(2) المرجع نفسه.

(3) رشاد رشدي: فن القصة القصيرة، مكتبة الانجلو المصرية ط2، القاهرة، مصر، 1970م، ص 30.

(4) محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة، (د.ط) بيروت، لبنان، [د.ت]، ص 145 .

(5) عبد الإله الصائغ: النقد الأدبي الحديث وخطاب التنظير (النظرية وتحليل النص)، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط1، صنعاء، اليمن، 2000م، ص 306.